

# ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾

المهندس  
عبد  
الرفاعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ

.. مسألة الخروج من النار بعد انقضاء فترة من العذاب فيها ، بالنسبة لبعض الداخلين في النار ، هي مسألة غير واردة في كتاب الله تعالى .. فبعد انتهاء الحساب وسوق أهل النار إلى النار وأهل الجنة إلى الجنة ، يدخل الجميع حياة خلود لا تنتهي ، ولا تتبدل بانتقال من نارٍ إلى جنة ، ولا من جنة إلى نار ..  
.. القرآن الكريم يؤكد أن أهل النار - دون استثناء - لا يخرجون منها ..

﴿ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾

[ البقرة : ١٦٧ ]

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾

[ المائدة : ٣٧ ]

.. ويوم القيامة ينقسم المكلفون إلى فريقين .. فريقٌ تثقل موازينه ، وفريقٌ تخفّ موازينه .. والذين خفّت موازينهم نتيجة غلبة شقوتهم عليهم ( تلك الشقوة التي أدّت بهم

في حياتهم الدنيا إلى الضلال ) يطلبون الخروج من النار .. ويأتيهم الردّ من الله تعالى ، لا كما يريدون ..

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠٨﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١١٠﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١١١﴾ أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ عَلَىٰكَ عَلَيْهِمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١١٤﴾ قَالَ أَخْسَعُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ ﴿١١٥﴾ [ المؤمنون : ١٠١ - ١٠٨ ]

فأهل جهنم سيخلدون<sup>(\*)</sup> فيها مجرد ما دخلوا أبوابها ، ولا يخرجون منها أبداً .. وكذلك الأمر بالنسبة لأهل الجنة ..

(\*) - بينت في كتاب المعجزة الكبرى ( حوار أكثر من جريء ) ، وحسب الأجدية القرآنية المكتشفة في النظرية الخامسة : ( إحدى الكبر ) ، بينت كيف أنّ القيم العددية للعبارة القرآنية : ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [ الحجر : ٤٨ ] التي تُصوّر عدم خروج أهل الجنة من الجنة ، تساوي القيمة العددية للعبارة القرآنية ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾ [ الانفطار : ١٦ ] ، والتي تُصوّر عدم غياب أهل النار عن النار ..

$$\underline{١٠٥} = \langle \text{﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾} \rangle$$

$$\underline{١٠٥} = \langle \text{﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾} \rangle$$

.. وفي هذا بيانٌ رقمي ( إضافة للبيان اللغوي ) على توازن عدم خروج أهل الجنة من الجنة ، مع عدم خروج أهل النار من النار ..

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل :

[ ٢٩

﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [ غافر : ٧٦ ]

.. وفي سورة الزمر ينقسم الناس يوم القيامة إلى قسمين لا ثالث لهما ، قسمٌ يدخلُ جهنم خالداً فيها ، وقسمٌ يدخل الجنة خالداً فيها ..

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۗ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ

خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ

زُمَرًا ۗ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمِ عَلَیْكُمْ طِبْتُمْ

فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [ الزمر : ٧١ - ٧٣ ]

.. وبالتالي فإن الصورة القرآنية ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٧٤﴾ لِلطَّغْيِينِ مَقَابًا ﴿٧٥﴾

لِلنَّاسِ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [ النبأ : ٢١ - ٢٣ ] ، تعني أن أهل جهنم تتابع عليهم دورات

العذاب وألوانه المختلفة ، كلما مضى لونٌ من العذاب تبعه لونٌ آخر .. وهكذا بشكلٍ

مستمرٍ إلى الأبد ..

.. هذه الحقيقة نراها في الصورة القرآنية ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ

أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [ الحج : ٢٢ ] .. فأهل جهنم حينما يقترب لونٌ

من العذاب ( حقب ) من الانتهاء ، يتجه قصدهم وغايتهم ( إرادتهم ) باتجاه الخروج

من الغم الذي هم فيه ، ولكنهم يعودون فيدخلون لوناً جديداً من العذاب ، وحينما

يقترب هذا اللون الجديد من العذاب من نهايته ، يتجه قصدهم وغايتهم نحو الخروج من

جهنم ، ولكنهم يعودون فيدخلون لوناً جديداً آخر من العذاب ، وهكذا إلى الأبد ، هذا ما تصوّره هذه الصورة القرآنية ، كتيبانٍ للصورة القرآنية ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ .. وما نراه في الصورة القرآنية ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ ، أن الجار والمجرور ﴿فِيهَا﴾ قُدِّم على كلمة ﴿أَحْقَابًا﴾ ، وهذا ليس عبثاً ، فالعبرة ﴿لَيْثِينَ فِيهَا﴾ تُبَيِّن مسألة لبثهم ، والتي هي كما يؤكّد القرآن الكريم في العديد من آياته خلوداً لا خروج منه ، وتأتي كلمة ﴿أَحْقَابًا﴾ لتبيّن لنا ماهية هذا اللبث بأنّه - كما بيّنا - ألوان مختلفة من العذاب .. فالله تعالى لم يقل (لابثين أحقاباً فيها) إنّما يقول ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ ، بمعنى أن لبثهم فيها (الذي لا يخرجون من حالته) ماهيته أحقابٌ مختلفة من العذاب .. والصورة القرآنية التالية تؤكد هذه الحقيقة ..

﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ ﴿١٠٦﴾ خَلْدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ \* وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلْدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ ﴿١٠٨﴾ ]

هود : ١٠٣ - ١٠٨ [

.. إنّ المعنى بالسموات والأرض في العبارة القرآنية ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ ، هو سموات الآخرة وأرضها ، بعد أن تُبدّل عن سموات الدنيا وأرضها ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم : ٤٨] .. وهذه العبارة ﴿مَا

دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ تعني الخلود - سواءً لأهل النار أم لأهل الجنة - وهي متكاملة مع العبارة القرآنية التي تسبقها مباشرة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ..

.. والمسألة التي حار بها الكثيرون ، هي إدراك دلالات العبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا شَاءَ

رَبُّكَ﴾ .. وإدراك دلالاتها إدراكاً سليماً ، علينا أن نبيّن النقاط التالية :

[ ١ ] - رأينا في تبيان القرآن الكريم أنه لن يخرج أيُّ من أهل النار ، من النار ، ولن يخرج أيُّ من أهل الجنة ، من الجنة .. ولذلك فإنَّ أيَّ تصوّر لتأويل هذه العبارة ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ بأنّها تعني خروج قسمٍ من أهل النار من النار ، هو تصوّرٌ غير سليم ، لأنّه يناقض صريح القرآن الكريم ، ولأنّه سيعني بالضرورة خروج قسم من أهل الجنة من الجنة .. فالآية التي تتحدّث عن أهل النار تلوها آيةٌ تتحدّث عن أهل الجنة بصياغةٍ مشابهةٍ تماماً ، حيث ترد العبارة ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ في الآيتين ..

﴿فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ

وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾

﴿فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾

[ ٢ ] - الأقوال والروايات التي تقول إنّ بعض الداخلين إلى النار سيخرجون منها ، ويدخلون الجنة ، هي أقوال وروايات لا تُناقض صريح القرآن الكريم فحسب ، وإلّا ما ينقضها القرآن الكريم مبيناً أنّها أقوالٌ ورواياتٌ تُماثل ما افتراه اليهود على الله تعالى ..

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ تُخْلَفَ

اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ

بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [ البقرة : ٨٠ - ٨١ ] ..

فكيف يكون افتراء اليهود على الله تعالى ، والذي يُبين القرآن الكريم فساده ، كيف يكون حقيقةً عندنا وجزءاً من عقيدتنا ؟!!!.. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

والصورة القرآنية التالية تُؤكِّدُ هذه الحقيقة لكلِّ من ينظر نظرة تدبّرٍ في دلالاتها ..

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمَسِّنَا آلْتَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ<sup>ط</sup> وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [ آل عمران : ٢٣ - ٢٤ ]

[ ٣ ] - إنَّ الجزم بأنَّ المقصود بالعبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ هو خروج

بعض أهل النار من النار ، يقتضي - لو كان سليماً ولو كان لا يُثاب في صريح القرآن الكريم - ورود هذه العبارة القرآنية على الشكل (إِلَّا مَنْ شَاءَ رَبُّكَ) .. فالعاقلون - كأهل النار وأهل الجنة - تُناسبهم كلمة (مَنْ) دون كلمة (ما) ، إضافة إلى أنَّ هذا الجزم يقتضي خروج بعض أهل الجنة من الجنة .. وبالتالي لا يمكن الجزم بأنَّ كلمة ﴿مَا﴾ تعني مجموعة من العاقلين الداخلين في النار ، أو في الجنة ..

ولربّما يحلو لبعضهم أن يزعم بأنَّ كلمة ﴿مَا﴾ في هذه العبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ هي بمعنى كلمة (مِنْ) ، وذلك هروباً من مواجهة حقيقة عدم خروج أيٍّ من أهل النار من النار .. نقول .. لو فرضنا جدلاً صححة هذا الزعم ، فلماذا كلمة ﴿مَا﴾ في العبارة القرآنية المتعلقة بالنار ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ هي بمعنى (مِنْ) كما يحلو لهم ، وكلمة ﴿مَا﴾ في العبارة المتعلقة بالجنة ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ ليست بمعنى (مِنْ) ، ؟!!!.. فهل أهل النار عقلاء وأهل الجنة ليسوا عقلاء بمنظار المعرضين عن دلالات كتاب

الله تعالى !!!؟ .. طبعاً المسألة ليست كذلك ، فكلمة ﴿مَا﴾ في العبارتين هم بمعنا ( ما ( ولو كانتا بمعنى ( مَنْ ) لأتت في كتاب الله تعالى ( مَنْ ) ..

[ ٤ ] - لما كان ورود كلمة ﴿مَا﴾ دون كلمة ( من ) في العبارة القرآنية ﴿إِلَّا

مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ لا يُفيد الجزم باستثناء بعض أهل النار - أو بعض أهل الجنة - كما رأينا .. فإن ذلك لا يقتضي ولا يفرض أن هذه العبارة القرآنية تعني استثناء من زمن الخلود ، لأن ذلك سيؤدّي إلى أن الخلود التام لا يوجد في النار ولا في الجنة ، لجميع الداخلين في النار وفي الجنة دون استثناء ، كون العبارة ذاتها ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ ترد بالنسبة للنار والجنة بذات الصياغة .. وهذا يُناقض صريح البيان القرآني في العديد من الآيات الكريمة ، والتي يؤكد الله تعالى فيها الخلود بالنسبة لأهل الجنة وأهل النار ..

[ ٥ ] - إن القول بأن العبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ تعني استثناء زمن

وقوف أهل الموقف في الموقف ، أو زمن عمرهم في الدنيا ، أو في عالم البرزخ .. هذا القول يُناقض كون الصورة القرآنية السابقة لهذه العبارة القرآنية ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ تعني المرحلة بعد دخول النار ، فالعبارة القرآنية ﴿فِي النَّارِ﴾ واضحة جلية في تبيان أن الخلود المعني هو بعد دخول النار وليس قبل ذلك ﴿فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ إلا ﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ .. وأيضاً العبارة ﴿فِي الْجَنَّةِ﴾ واضحة جلية في تبيان أن هذا الخلود هو بعد دخول الجنة وليس قبل ذلك ﴿فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ .. وكل ذلك ( سواء لأهل الجنة أم لأهل النار ) هو بعد الموقف ، وبالتالي بعد الدنيا ، وبعد عالم البرزخ ..

[ ٦ ] - تأويل هذه الصورة القرآنية على أنّ الخارجين من النار بعد عذابهم لفترةٍ محدّدة ، والذين تعنيهم العبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ في الآية التي تتحدّث عن النار ، هم ذاهم الذين تعنيهم العبارة ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ في الآية التي تتحدّث عن الجنّة .. أي أنّ الخارجين من النار أُسْتثنى من خلودهم فيها زمنٌ ما بعد هذا الخروج ، وهو ذاته زمن لبثهم في الجنّة التي دخلوها بعد خروجهم من النار ، وهؤلاء ذاهم - بعد دخولهم الجنّة - أُسْتثنى من خلودهم في الجنّة زمن وجودهم في النار ، قبل مجيئهم إلى الجنّة ... هذا التأويل غير سليم ، لأنّ ابتداء الآية التي تتحدّث عن أهل النار بالعبارة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ﴾ ، وابتداء الآية التي تتحدّث عن أهل الجنّة بالعبارة ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ﴾ ، يؤكّد لنا أنّنا أمام فريقين مختلفين ، ولسنا أمام فريقٍ واحد ..

[ ٧ ] - قوله تعالى ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ يصف لنا الشقاء والسعادة من منظار علم الله تعالى المطلق .. ومن حكم الله تعالى عليه بالشقاء فلن يكون سعيداً ، وستلازمه صفة الشقاء .. ولذلك فإنّ القول بأنّ بعض الذين شقوا سيخرجون من النار ويدخلون الجنّة ، هو - في النهاية - وصفٌ لهؤلاء بأنّهم من الذين سُعدوا ، وهذا يُنافي وصف الله تعالى لهم بالشقاء ..

[ ٨ ] - الخلود مسألة تعني عدم الوصول إلى نهاية .. فهو يعني سرمدية النهاية ، ولا يعني سرمدية البداية ..

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [ الأنبياء : ٣٤ ]

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [ الشعراء : ١٢٩ ]

.. ولذلك فإنّ العبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ لا يمكن أن تكون استثناءً من الخلود ، لأنّ دخول بعض المكلفين إلى النار في البداية ثمّ خروجهم منها ودخولهم الجنّة ،



يتنافى مع مفهوم الخلود الذي يعني استمرارية الوجود للشيء - دون انقطاع - بلا نهاية .. وبالتالي فالذي دخل النار ثم خرج منها لا يمكن وصف وجوده فيها بالخلود ، أو اعتباره خلوداً تُستثنى منه مرحلة ما بعد الخروج .. وكذلك الأمر بالنسبة للذي تأخر دخوله إلى الجنة ، فلا يُمكن استثناء تأخره من الخلود ، لأن هذا الاستثناء انقطاعٌ يُناقض مسألة الخلود من أساسها ..

[ ٩ ] - في الصورة القرآنية ﴿ فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ ﴿١٦﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ ، لو تمَّ سحب العبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ على الاستثناء الزمني للخلود ، لتنافى ذلك مع منطق الاستثناء ذاته .. فمن المعلوم أن المُستثنى هو - بشكلٍ عامٍّ - الجزء الأقلّ من المُستثنى منه .. والمستثنى هنا هو الخلود بكامله ما عدا فترة اللبث المحدودة في النار ( حسب تفسيرهم ) ، وهذا يُكوّن معظم المُستثنى منه ، لأنّ الخلود لانهائيّ ، ومهما حُذف من اللانهائيّ يبقى لانهائيّاً .. فهل يُعقل أن يكون المُستثنى لانهائيّاً ، في الوقت الذي يُفترض فيه أن يكون هو الجزء الأقلّ ، أو - على الأقلّ - الجزء المحدود ..

[ ١٠ ] - الآية الكريمة التالية ، تؤكد حقيقة ما نذهب إليه ..

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرِ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ط وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَلِيدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ط إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [ الأنعام : ١٢٨ ]

.. فالعبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ تقع بين عبارتين ، تصوّر كلٌّ منهما خطاباً مباشراً .. العبارة السابقة لها ﴿ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَلِيدِينَ فِيهَا ﴾ تصوّر خطاباً مباشراً في الموقف إلى الكافرين الذين يستحقّون الخلود في النار .. والعبارة التالية لها ﴿ إِنَّ رَبَّكَ

حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ، تصوّر خطاباً مباشراً إلى الرسول ﷺ ولكل مؤمنٍ مستمعٍ لآيات الله تعالى ..

.. وبالتالي فالعبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ، تتعلّق بالعبارة التي تسبقها تعلق تبيانٍ لماهيّة الخلود في النار ، وتتعلّق بالعبارة التي تليها تعلق النتيجة بمقدّماتها ، فمشيئة الله تعالى لهذا الخلود ، هي نتيجة إحاطة حكمة الله تعالى يجعل الكافرين خالدين في النار ، ونتيجة علمه جلّ وعلا بحقيقة استحقاق هؤلاء لهذا الخلود ..

[ ١١ ] - العبارة القرآنية ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ في الصورة القرآنية ﴿فَأَمَّا

الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠﴾ خَلْدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ، هي تفصيلٌ وتبيانٌ للعبارة القرآنية التي تسبقها ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ ..

.. إنّ المشيئة ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ هي - كما رأينا - تسخير الأسباب المادّية ( الفعل ) لتحقيق المراد ، وهذا ما تنطق به العبارة القرآنية ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ .. وبالتالي فالعبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ تصوّر لنا حيثيات دوام الخلود ، المرافق لدوام سماوات الآخرة وأرضها ، ولا تعني - أبداً - استثناء بعض الداخلين إلى النار ، ولا تعني - أبداً - استثناء من زمن الخلود في النار .. وهذا ما رأيناه في النقاط السابقة ..

[ ١٢ ] - العبارة القرآنية ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ﴾ في نهاية الصورة القرآنية ﴿\*

وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ﴾ ، تعني عطاءً غير منقطع وغير منقوص .. وهي ترتبط بجميع

عبارات الآية الكريمة التي تنتمي إليها .. فلا يستطيع أحد أن يُبرهنَ بأنها لا تتعلق بالعبارة التي تسبقها ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ ..

وإذا نظرنا إلى العبارة القرآنية ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾ من منظار العبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ .. فكيف يكون النقصان من الخلود والانقطاع عن جزء منه ( حسب تفسيرهم أن كلمة إلا استثناء ) عطاءً غير منقطع وغير منقوص ؟ !!! ..

..... وهكذا نرى أن العبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ ليست استثناءً ، لا من زمن الخلود ، ولا من أهل النار ، ولا من أهل الجنة .. وإنما تدلّ على أن الخلود - سواء لأهل النار أم لأهل الجنة أم لسماوات الآخرة وأرضها - لا يكون إلا بمشيئة الله تعالى ، وتحت قيوميته جلّ وعلا ..

.. إذاً تقدير الصورة القرآنية ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ .. أن خلود أهل النار في النار ، هو خلود دائم ، لأن السماوات والأرض بعد أن تُبدلاً في الآخرة دائمتان لا تفنيان .. وهذا الدوام والخلود ما كان ليكون إلا بمشيئة الله تعالى ، فحيثيات عدم الفناء ليست نابعة من ذات الجنة ، ولا من ذات النار ، ولا من ذات من فيهما ، إنما هي نتيجة تسخير أسباب هذا الخلود لتحقيق مُراد الله تعالى بدوام هذا الخلود .. وكذلك الأمر في تقدير الصورة القرآنية ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾ ..

.. وفي المقابلة بين العبارة القرآنية ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وبين العبارة القرآنية ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾ ، بيان إلهيٍّ يصور لنا الفارق بين مفهوم مشيئة الله تعالى في الدنيا ، وبينه في الآخرة ..

.. رأينا أن مشيئة الله تعالى في الدنيا هي تسخير الله تعالى للأسباب ، لتحقيق مُراد الله تعالى ( الإرادة الكونية ) ، ولتحقيق مُراد البشر .. وأن هذه الأسباب مسخرة للمؤمنين والكافرين على حدٍ سواء ، وبالحيثيات ذاتها .. بينما مشيئة الله تعالى في الآخرة تختلف بأن تكون مسخرة لإرادة الله تعالى الكونية بالنسبة لأهل النار ، دون أن ترتبط بإرادتهم أبداً ، ودون أن تفعل الأسبابُ بين أيديهم .. وقد رأينا كيف أن أهل النار لا يملكون سوى إرادة الخروج من النار ، ولا يملكون أيّ مشيئة ..

.. ولذلك فمشيئة الله تعالى - بالنسبة لأهل النار - تعني فعل الله تعالى وتسخيره للأسباب بحيث تُحقق مُراد الله تعالى في عدم فناء النار ، وهذا ما تصوّره الصورة القرآنية ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ .. ولا تعني - أبداً - عطاءً من الله تعالى

لأهل النار بأن يُسخّر الأسباب بين أيديهم ، كما كان الأمر في الحياة الدنيا .. بينما مشيئة الله تعالى بالنسبة لأهل الجنة ، إضافة إلى أنها تعني تحقيق مُراد الله تعالى في عدم فناء نعيم الجنة ، فإنها تعني عطاءً من الله تعالى لأهل الجنة بأن تُصبح إرادتهم مشيئة ، بحيث يزول الفاصل بين إرادتهم وما يشاؤون كما رأينا ..

.. هذه الحقيقة نراها في الارتباط بين العبارتين القرآنيتين المتتاليتين في الصورة القرآنية ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٌ﴾ .. فمشيئة الدنيا - بالنسبة للإنسان - عطاءٌ منقوصٌ ، لأنها تحتاج إلى العمل بالأسباب .. بينما مشيئة الآخرة بالنسبة لأهل الجنة ، هي - ضمن إطار مشيئة الله تعالى - عطاءٌ غير منقوص ..

.. والقول بأن جميع الداخلين إلى النار لا يخرجون منها ، لا يعني أنهم متساوون في العذاب ، فالنار درجات (( والجنة أيضاً درجات )) ، وكلُّ من أصحاب النار (( وكذلك أصحاب الجنة )) يدخل الدرجة المناسبة مع حصيلة عمله الذي عمله في حياته الدنيا .. ودخول النار ودخول الجنة ، هو نتيجة حصيلة أعمال الإنسان في كامل حياته الدنيا ..

.. وحتى في الدرجة الواحدة من درجات النار (( وكذلك في الجنة )) فإن كلاً من أصحاب هذه الدرجة يحسُّ بالألم (( وباللذة بالنسبة لأهل الجنة )) حسب الماهية الجسدية التي خُلقت - أصلاً - حسب معيارٍ يتعلَّقُ بنتيجة أعمال الإنسان في حياته الدنيا ..

.. من هنا نرى أن أصحاب النار (( وكذلك أصحاب الجنة )) لكلٍّ منهم خصوصيته التي تميّزه عن غيره في الإحساس بعذاب النار (( وبلذة الجنة )) ، فالمجازي هو الله تعالى ، وهو العالم علماً مطلقاً بحقيقة الأمور والأشياء ..

.. وفي هذا السياق من البحث ألقينا الضوء - بشكلٍ مركّز - على العبارتين القرآنيتين : ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ﴾ ، واكتفينا - هنا - بذلك ، كتفسيرٍ لغويٍّ لهاتين العبارتين القرآنيتين ..

بينما مسألة عدم الخروج من النار هي مسألة تمّ شرحها - بشكلٍ مفصّل - ومن خلال معجزة إحدى الكُبر ( العددية ) - في كتاب المعجزة الكبرى ( حوار أكثر من جريء ) ..